الكِنْديُّ

حياة الكندي:

هو أبو يوسف، يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ عمرانَ ـ بنِ الأشعث ـ بنِ قيس بنِ الحارث الأصغر بن معاويةَ بن الحارث الأكبر، بنِ كِنْدَة بنِ يَعرُب بنِ قَحْطانَ. فهو عربيُّ النَّسب، أجدادُهُ مُلوكٌ، وكانَ والدُهُ «إسحاقُ» والياً وأميراً على الكوفة في أيام «المهدي» و«الرشيد». وتوفِّي في أواخر خلافة «الرشيد» ويُتِّمَ «الكنديُّ» من أبيه باكراً.

ولد «الكنديُّ» في (البصرة) عام 185هـ = 796م، ثم انتقل إلى (الكوفة)؛ حيث كان أبوه والياً عليها. فقضى طفولتَهُ فيها، وتلقَّى علومَهُ. ثمَّ قَدِمَ (بغداد)، وحَظِيَ برعاية «المأمون» و«المعتصم». وكان الأميرُ «أحمد» ابن الخليفة «المعتصمِ» صديقاً لـ«الكنديِّ»، وعَوناً له. أهداهُ «الكنديُّ» عدداً من مُؤلَّفاته.

وفي خلافة «المتوكل» لم يَنَل حَظّاً منه، شأنُهُ شأنُ أصدقائه المعتزلة، ولم تَصْفُ حياتُهُ من الشوائب، فكَرِهَ الناسَ، واعتزلَ الحياةَ العامّةَ، ومات مُنعزِلاً في (بغداد) سنةَ: 260 هـ = 873 م في السَّنة التي وُلِدَ فيها «الأشعريُّ»، وعُمُرُه: (67 سنةً)، أي: إنَّ معظم حياته قضاها في القرن الثالث الهجريِّ، وقد أُطلِقَ عليه اسمُ: (فيلسوف العرب).

وقد وجد «الكنديُّ» نفسَهُ في خِضَمِّ الحركة العلمية التي ساعد على ازدهارها ترجمةُ النصوص اليونانية، ونَقلُها إلى العربية. فحصل على معارفَ واسعة. ولم يكن «الكنديُّ» نفسُهُ مُترجماً للنصوص القديمة، ولكنَّه بحكم كونه نبيلاً ثرياً استعانَ بالمترجمين النَّصارى، وكان يُصحِّحُ لهم ترجمةَ بعضِ المفردات.

وقد تَرجَم له «عبدُالمسيح» الحمصيُّ (نسبةً إلى: حمص) كتابَ: (الربوبية) المشهورَ، والمنسوبَ خَطأً لـ: «أرسطو»، وكتابَ (الجغرافية) لـ«بطليموس»، وكتابَ (ما بعد الطبيعة) لـ: «أرسطو».

لقد أكبَّ «الكنديُّ» على الفلسفة في جَوٍّ حافلٍ بالنزاع الدينيِّ والمذهبيِّ، وخاصّةً مذهب المعتزلة والشِّيعة. ومع ذلك كان سُنِّيَّ الاعتقاد، ولكن لا يُقاومُ آراءَ المعتزلة.

مُؤلَّفات الكنديِّ:

من الصَّعب تصنيفُ مؤلَّفات «الكنديِّ»؛ لسببَين هما:

1 ـ أنَّ معظم مؤلَّفاته قد ضاعت.

2 ـ أنَّ بعضَ رسائله مُتضمِّنةٌ البعضَ الآخرَ.

وقد بلغت رسائلُه أكثرَ من: (238) رسالة، وإنَّ معظم الرسائل التي بقيت هي موجزةٌ وليست ضخمةً. وبعضُها متشعِّبُ الموضوعات في: (الفلسفة، أو المنطق، والحساب، والموسيقى).

يُعتبرُ «الكنديُّ» الرائدَ الأوّلَ في تفسير كتب الأقدمين، والتعليق عليها، وترجمتها. وإنَّ الرسائلَ التي كتبها كانت في العلم الطبيعيِّ والفلسفة، وما بعد الطبيعة، والرياضيات؛ التي اعتبرها المقدِّمةَ الضروريةَ للفلسفة.

وقد اعتمد «الكنديُّ» في فلسفته على «فيثاغورس»، و«أرسطو»، و«سقراط»، و«أفلاطون». بالإضافة إلى اعتماده الأساسيِّ على الوحي والإيمان.

وأخذ باتجاه المعتزلة؛ حيث يعتمدُ على العقل، ويلجأ إلى التأويل في تفسير الآيات القرآنية.

الكنديُّ والفلسفةُ:

بَيَّن «الكنديُّ» أهميةَ الفلسفة في رسالة كتبها إلى «المعتصم»؛ حيثُ ذكر فيها:

((إنَّ الفلسفة أشرفُ العلوم وأعلاها مرتبةً، ومن واجب المفكِّر أنْ يأخذَ بها)).

وقد ذُكرَ: أنَّ الفلسفةَ علمٌ وَثَنيٌّ، وأنَّها طريقٌ إلى الكفر وخروجٌ عن الدين. وقد واجه «الكنديُّ» مقاوماتٍ مختلفةً لاشتغاله بالفلسفة.

و«الكندي» ينظرُ إلى الفلسفة:

نظرةً غيريّةً، أي: كان يَتتبَّعُ كبارَ الفلاسفة، ويأخذ منهم.

ونظرةً ذاتيةً، أي: كان يُقدِّمُ آراءَه الشخصيةَ، ويُثبتُها في رسائله، وكان يرى: أنَّ غرض الفيلسوف من الفلسفة، غرضٌ نظريٌّ وعمليٌّ.

أما الغرض النظريُّ: فهو إصابةُ الحقِّ ومعرفتُه.

وأما الغرض العمليُّ: فهو العملُ بالحقِّ (الحقيقة).

والحقيقة عنده لا تُنالُ إلاَّ بمعرفة (إنيَّةُ الأشياء)، أي: وجودها.

وتأثَّر «الكنديُّ» في مذهبه بـ: «فيثاغورس»، و«أفلاطون»، فقال: ((إنَّ الفلسفة لا تُنالُ إلاَّ بمعرفة الرياضيات)).

وتأثَّر بـ: «أرسطو»؛ حيث قال: ((لا بُدَّ لمَن أراد الفلسفةَ من معرفة كتب «أرسطو»)).

وإنَّ أشرف الفلسفة وأعلاها مرتبةً هي الفَلسفةُ الأولى، أي: علمُ الحقِّ الأول؛ الذي هو علَّةُ كلِّ حقٍّ. فعلمُ العلَّة أشرفُ من علم المعلول.

التوفيق بين الفلسفة والدين:

إذا كانت الفلسفة هي علمَ الأشياء بحقائقها، فلا خلاف بينها وبين الدين. وقد تعرَّضَ «الكنديُّ» للتوفيق بين الفلسفة والدين. فالفلسفة هي: علمُ الحقِّ. والدين: هو علمُ الحقِّ.

وهنا تظهر نزعته الاعتزاليةُ بكلِّ وضوح، ويقول: ((إنَّ العقل قادرٌ على معرفة الحقائق، والذي يَتنكَّرُ للفلسفة إنَّما يتنكَّرُ للحقيقة)). ويقول:

((إنَّ خصوم الفلسفة هم بحاجة ماسَّة إلى الفلسفة حتى يُقيموا الدليلَ على وجوب التنكُّر لها، والابتعاد عنها)).

و«الكندي» يستخدمُ التأويلَ في حلِّ التناقض الظاهر بين مُعطَيات الفلسفة وآيات القرآن الكريم.

ويقول: ((إنَّ الكلام العربيَّ له معنيان: معنى حقيقيٌّ، ومعنى مجازيٌّ)).

ويقول الكندي:

((إذا كان هناك فرقٌ بين علوم الأنبياء وعلوم الفلسفة فذلك يعود إلى الطريقة والمصدر والخصائص فعلومُ الأنبياء تأتيهم من عند الله تعالى؛ عن طريق الوحي، وهي علومٌ موجَزةٌ، بيِّنةٌ، قريبةُ السبيل، محيطةٌ بالمطلوب)).

طريقة الكنديِّ في الفلسفة ومنهجُهُ:

اتخذ «الكنديُّ» الطريقةَ المنطقيةَ الرياضيةَ. واهتمَّ بالناحية الشكلية، وإيضاحِ المفاهيم، وتأطيرها، وتحديدها. وقد ذكر تعريفات كثيرةً لمفاهيمَ متعددة ومتنوِّعة، منها:

تعريف العلَّة الأولى - العقل - النفس - الطبيعة - الجرم - الإبداع - الهيولى - الصورة.

الكندي والفلسفة الطبيعية:

العالَم:

يرى «الكنديُ»: أنَّ العالَم حادثٌ ومُتناه، وأنَّ للكون علةً قُصوى هي اللهُ؛ الذي خَلَقَ العالَمَ، ونَظَّمَه، و رَتَّبهُ، وصَيَّرَ بعضَهُ علّة لبعضه الآخر.

فهو يُنكرُ قِدمَ العالم؛ فالكون موجودٌ من اللاَّ موجود، أي: هو (ليس من ليس)؛ لأنَّه من إبداع الله.

ويرى «الكنديُّ»: أنَّ الأرض في وسط العالَم، وهي: كرةٌ تحيط بها كرةٌ من الماء، ثم كرةٌ من الهواء، ثمَّ كرةٌ من النار، ثم تأتي الأفلاك بأجرامها.

والكنديُّ يُثبِتُ للعالَم قوّةَ حدوث العالَم:

إنَّ «الكندي» يُخالفُ «أرسطو» في قضية حدوث العالم، ويحاول أن يقيمَ البرهانَ عليها؛ مُتَّبعاً التعاليمَ الإسلاميةَ، ومُجارياً آراءَ المتعلِّمين في عصره.

وبرهانُ الكنديِّ قائمٌ على:

تحديد معنى الزمان والحركة، فيقول: إنَّ كلَّ ما في العالم مُتحرِّكٌ، والحركةُ هي تَبدُّلُ الأحوال، والتبدُّلُ يَحدُثُ في الزَّمان، والزمانُ (هو مدةٌ زمنيةٌ تعدها الحركة). فالتبدُّلُ هو عددُ الحركات؛ فإذا كانت الحركةُ كان الزمان، وإن لم تكن حركةٌ لم يكن الزمان. والحركة إنَّما هي حركةُ الجِرْم؛ فإنْ كان جِرْمٌ كانت الحركةُ، وإن لم يكن جِرْمٌ لم تكن الحركةُ. فالحركة والجِرْمُ والزَّمانُ لا يَسبقُ بعضُها بعضاً في الإنية (الوجود) فهي معاً.

والزمان عند «الكندي» مُتناهٍ؛ إذ لا يوجد زمانٌ لا نهايةَ له؛ لأنَّ الجِرْمَ المتحرِّكَ مُتناهٍ، حركتُهُ متناهيةٌ.

ويقول «الكنديُّ»: إنَّه من الممكن أن نتخيّلَ زماناً لا مُتناه بالقوَّة فقط، وكلُّ ما في الأمر: أنَّ الجِرْمَ والحركةَ والزمانَ، متناهيةٌ، ولها بدايةٌ وهي مِن ثَمَّ مُحدَثَة.

النفس البشرية وقواها

تعريفها ـ طبيعتها ـ أصلها ـ مصيرها ـ قواها

لم نعرف رأياً لـ«الكنديِّ» في النفس، بل عَرَضاً لآراء غيره من الفلاسفة الأقدمين، وإنْ دَلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على معرفة «الكنديِّ» بالفلسفة اليونانية، وأمانته في ذكر المصادر التي أخذ عنها، وقد ذكر آراءَهُ عن النفس؛ مُتأثراً بكتاب (النفس) لـ: «أرسطو»، فقال في تعريف النفس: ((إنها جوهر عقلٍ، مُتحرِّكٌ من ذاته)).

أما طبيعتها:

فهي جوهرٌ بسيطٌ إلهيٌّ رُوحانيٌّ، لا طولَ له، ولا عُمْقَ، ولا عَرْضَ. وهي نُورٌ من نور الباري.

ولكنه لم يُبيِّن أصلَها؛ هل وُجدت قبل الجسم ـ كما قال «أفلاطون»، أو أنَّها خُلِقت معه، وحلَّت فيه بحسب اعتقاد المسلمين.. ؟؟!. ويقول:

((إنَّما نأتي إلى هذا العالم الذي هو جسرٌ نَعبرُ عليه، وليس لنا مقامٌ يطولُ فيه. أمَّا مقامُنا ومُستقرُّنا المتوقَّعُ، فهو العالَمُ الأعلى الشريفُ؛ الذي تنتقل إليه نفوسُنا بعد الموت..))

وفي قوله هذا اعتراف صريحٌ بخلود النفس.

أمَّا من أين جاءت النفسُ..؟ هل من عالَم العَدَم، أو من العالَم الذي نعود إليه..؟؟! فذلك الذي لم يذكره «الكنديُّ».

أما مصيرها:

فإنَّ «الكنديَّ» لا يعتقد بخلود النفس في الشقاء.

أمَّا علاقة النفس بالبدن فهي علاقةٌ عارضةٌ؛ فالنفس مُتحدةٌ بالبدن، لا تفعل أفعالَها إلاَّ بواسطته؛ على الرغم من كونها منفردةً عنه، مباينةً له، ومع ذلك تبقى بعد فنائه.

قوى النفس:

يُقسِّمُ الكنديُّ النفسَ إلى عدّة قوى، وهي:

القوى الحسية ـ المصورة (الخيالية) ـ الغاذية ـ النامية ـ الغضبية ـ الشهوانية ـ العقلية.

وقد ذكر «الكنديُّ» تقسيمَ «أفلاطون» لقوى النفس، فقال:

«إنَّ «أفلاطون» قاسَ القوّةَ الشهوانيةَ في الإنسان بالخنزير. والقوةَ الغضبيةَ بالكلب، والقوّةَ العقليةَ بالملك؛ فمَن غلبت عليه الغضبيةُ فقياسُهُ قياسُ الكلب. ومَن كان الأغلبُ عليه قوّةُ النفس العقليةُ وكان دأبُهُ الفكرَ والتمييزَ ومعرفةَ حقائق الأشياء، كان إنساناً فاضلاً قريبَ الشبه من الباري سبحانه. وإنَّ جميع القوى تتعلَّق بالنفس، منها ما له آلةٌ أُولى أساسيةٌ مشتركةٌ بين الحسِّ والعقلِ وهي: الدفاع، ومنها ما لَه آلاتٌ ثانويةٌ، كـ: العين ـ الأذن ـ الأنف ـ اللسان، وجميع أعصاب اللَّمس.

آ ـ القوة الحاسة: وتشملُ: الحواسَّ الخارجيةَ الخمسَ، وهي: التي تُدركُ صورَ المحسوسات، وهذه القوّةُ الحاسّةُ المشتركةُ للحيوان أجمع، لا تُدركُ إلاَّ صورَ أشخاصِ الأشياء، أيَ: الصورَ الجزئيةَ: (لون ـ طعم ـ شكل ـ رائحة ـ صوت ـ لمس).

والقوة الحاسَّةُ هي: النفسُ. والمحسوساتُ كلُّها ذاتُ هَيُولى، وكلُّ الأشياء والأشخاصِ الجزئيةِ الهَيُولانية وَحدَها واقعةٌ تحت الحواسِّ.

ب ـ القوة المتوسطة: وتشملُ:

1 ـ القوةَ المصوِّرةَ: هي التي تُوجدُ صورَ الأشياء الشخصيةِ مُجرّدةً مع غيبة حواملها عن حواسِّنا. وتعمل هذه القوّةُ أعمالَها في حال النومِ واليَقَظة، ومن مُميِّزاتها: أنها تستطيع التركيبَ؛ فتُركِّبُ مثلاً: إنساناً برأس الحيوان.

2 ـ قوة الحفظ: أي: القوةُ الحافظةُ؛ لأنَّها تَقبلُ الصُّورَ التي تؤديها إليها القوةُ المصوِّرةُ وتَحفظُها.

3 ـ القوّة الغَضبيَّةُ: ويُسمِّيها «الكنديُّ»: القوةَ الغَلَبيةَ، وإنَّ القوة التي يَغضَبُ بها الإنسانُ هي غيرُ النفس (التي تمنع الغضبَ أن يجريَ إلى ما يهواه).

4 ـ القوة الشهوانية: وهي القوّةُ التي تَتوقُ إلى بعض الشهوات، وهي أيضاً غيرُ النفس؛ لأنَّ النفس تَمنعُها أحياناً من نَيلِ شهواتها؛ والمانع لا مَحالةَ غيرُ الممنوع؛ لأنَّه لا يكون شيءٌ واحد يُضاد نفسَه.

5 ـ القوّة الغاذيةُ أو المنمِّية: إنَّ رأي «الكنديِّ» فيهما مثلُ رأي «أرسطو».

جـ ـ القوة العاقلة:

هي القوة التي تُدركُ صُورَ الأشياء مُجرّدةً عن هَيولاها، أي: تُدركُ الأنواعَ والأجناسَ والمبادئَ والعلَلَ. وإنَّ «الكِنديَّ» قد تأثَّر بـ «أرسطو» في قضية العقل، وقد قسَّم «الكنديُّ» العقلَ على الوجه التالي:

1 ـ العقلُ الذي بالفعل أبداً.

2 ـ العقلُ الذي بالفعل.

3 ـ العقل الذي خرج من القوة إلى الفعل.

4 ـ العقل الظاهر.

إنَّ العقل عند «الكنديِّ» واحدٌ، يكون في النفس بالقوة، ويخرج إلى الفعل، أي: عندما يُدركُ المعقولات يصبح عقلاً بالفعل. وهذا العقلُ بالفعل عند استعماله يكون العقلَ الظاهر، وعند وجوده في النفس يكون مَلَكَةً، أي: عقلاً مستفاداً.

ويَعرضُ «الكنديُّ» أيضاً لقضية أخرى متعلّقة بالنفس وهي: قضيةُ النَّوم (الرؤيا) فيُعالجُها في رسالة خاصّة. ويرى «الكنديُّ»: أنَّ النوم والرؤيا كلاهما يَعرِضُ للنفس، ولا يستطيعُ فَهمَهُما إلاَّ مَن أتقن دراسةَ النفس.

فلسفة ما بعد الطبيعة:

تناول «الكنديُّ» فلسفةَ ما بعد الطبيعة في رسائلَ متعددة. ولا سيّما في رسائله:
(الفلسفة الأولى)، و(وحدانية الله)، و(تناهي جرْم العالَم).
وقد بحثَ «الكنديُّ» في طبيعة الله ـ ووجوده ـ وصفاته.

طبيعة الله:

إنَّ الله هو الوجودُ الحقُّ، أي: إنَّ الله موجودٌ، ولم يزل، ولا يزال موجوداً أبداً. فالله (لم يكن ليساً[1]، ولا يكون ليساً أبداً).

فالله هو: الوجودُ التامُّ الذي لم يَسبِقهُ وجودٌ، ولا ينتهي له وجودٌ، ولا يكون وجودٌ إلاَّ به.

---

(1) أي: عدماً.

براهين وجود الله عند الكندي:

أثبت «الكنديُّ» وجودَ الله تعالى بعدَّة براهينَ هي: برهان الحركة ـ والكثرة ـ والنظام. وهذا ما نجده عند «أرسطو»، وعند الفلاسفة الأقدمين.

وقد اعتمد في هذه البراهين على: حدوث العالم، وأنَّه مُتناهٍ. فلا بُدَّ له من مُحدِث هو الله تعالى.

أمَّا صفات الله عند الكنديِّ:

إنَّ صفات الله كانت قضيةَ جدال شديد في ذلك العصر، وقد ذهب «الكنديُّ» في صفات الله مذهبَ المعتزلة؛ فجعل صفةَ الوحدةَ (الوحدانية) من أخصِّ صفات الله تعالى. فالله أحدٌ في ذاته، أحدٌ في صفاته، أحدٌ في أفعاله. وصفاتُ الله تعالى هي: أنه عالمٌ، حيٌّ، قادرٌ، أزليٌّ، أبديٌّ، لا شيءَ قبلَه، ولا شيءَ بعدَه، باق، غيرُ فان، لا يَحُدُّه زمانٌ ولا مكانٌ، وهو العلَّة الأولى التي لا علَّةَ لها، الفاعلةُ التي لا فاعلَ لها، المُتمِّمةُ التي لا مُتمِّمَ لها.

الحكم على فلسفة الكندي وأسلوبه:

يُعتبرُ «الكنديُّ» أوّلَ فيلسوف عربيٍّ خاضَ في الموضوعات الفلسفية والعلمية، عالَجَها بلُغة الضَّاد. فكان شأنُه في ذلك شأنَ «ديكارت» في اللغة الفرنسية ـ مع ما بين الفيلسوفين من تَفاوت في الزمان والعقل ـ.

وقد استطاع «الكنديُّ» أن يُعرِّفَ العربَ على مذاهبَ وعلوم لم يألفوها من قبلُ؛ فنقل إليهم المصطلحات الفلسفيةَ التي تُعبِّرُ بشكل واضح عن مدلولها باللغة اليونانية، وعند استعمال الكلمة اليونانية يذكر ما يُقابلُها بالعربية مثل: الحكمة ـ الفلسفة.

وقد ألف رسالة خاصّةً في المصطلحات الفلسفية فقال: «إنَّ الفلسفة الأولى هي علمُ الحقِّ الأوّل؛ الذي هو علّةُ كلِّ حقٍّ». وقد أوضحَ المصطلحات التاليةَ بقوله، مثلاً:

الجِرْمُ: هو ماله ثلاثة أبعاد.

العمل: هو فعل بفكر.

العزم: هو ثبات الرأي على الفعل.

الاتصال: اتحاد النهايات.

الانفصال: تباين المتصل.

أمَّا من حيثُ الموضوعاتُ التي عالجها، فهي نفسُ الموضوعات التي عالجها الحكماءُ قبلَه، ولكنَّه احتفظ في معالجتها باستقلاله برأيه. فلم يكتف فقط بنقل «أرسطو» و«أفلاطون» وغيرهما من الفلاسفة الإغريق، بل اختارَ من الآراء التي عَرَفها ما يُلائمُ نزعَتَه الخاصّةَ، ومُعتقَدَهُ الدِّينيَّ. فهو أرسطاليسيّ النَّزعة في علم الطبيعة؛ لكنَّه ينفي قِدَمَ العالَم، وينفي رأيَ «أرسطو» في النفس، ويفضّل رأيَ «أفلاطون»؛ لِما فيه من رَوحانيةٍ تَتَّفِقُ مع الدين الإسلاميِّ، الذي يُنافي نزعةَ «أرسطو» الماديةَ.

أمَّا رأي «الكنديِّ» في الله وصفاته، فهو رأيٌ إسلاميٌّ معتزليٌّ.

ولكنْ لم يكن لـ «الكندي» نظَامٌ فلسفيٌّ شاملٌ. ولئن كان «الفارابيُّ» هو المؤسسَ الحقيقيَّ للفلسفة الإسلامية يَظلُّ «الكنديُّ» الرّائدَ الأوّلَ لهذه الفلسفة، وله يعود الفضلُ في تَبيئتها (من البيئة) في العالَم العربيِّ. وصَبغِها بالصِّبغة العربيةِ الإسلاميةِ الصَّافية.